

”منعطف النهر“ التي رسمها توماس كول (انظر الشكل 5-أ)، لا يوجد أشخاص في هذا الرسم، لكن يكمن التشابه بينها في أن لوحة ”منظر المدينة الأول“ يجبرنا على التفكير في تأثير الإنسان على العالم الطبيعي. تركنا دينكورن بانطباع لمنظر طبيعي متحضر لكن — بشكل جزئي فقط.

تمتلك اللوحة الزيتية الكبيرة التي تم رسم (منظر المدينة الأول) عليها تركيبة منظمة من خلال استخدام أسطح هندسية مستوية مكونة من مستطيلات وتخطيطات ملونة. تمتد المنازل الملونة التي على شكل صناديق بطول طريق يقسم جانبي الرسم: توجد البيئة التي من صنع الإنسان على اليسار، بينما توجد الأرض المفتوحة، والمحتمل أنها لم تتعرض للتطوير، على اليمين. يسمح هذا الطريق، الذي يمر من أسفل الصورة إلى أعلاها، للمشاهد بفحص الرسم بصورة سريعة، لكن دينكورن استخدم بعض الأدوات الفنية لجعل الرحلة تأملية.

على اليسار، يبطئ شروق الشمس، الذي ينهمر عبر البقعة الخضراء المزدهرة، من الصعود الرأسي ويُعَيَّر على نحو مفاجئ لون الطريق والمنطقة المفتوحة ورائه. وتستمر هذه الحركة الأفقية الجريئة بصورة عرضية من الطريق في اتجاه الحقل المفتوح على الجانب الأيمن في صورة خط رمادي رفيع (ربما كان ممراً صغيراً). وفي الأسفل مباشرة، توجد بقعة ذهبية. وإلى اليسار، ثمة شريط أبيض طويل يمثل التباين بين الظل والشمس، وبين البيئة المطورة وغير المطورة. وإلى أعلى، تتضاءل أحجام المنازل ولا يقطع هذا المشهد الطبيعي إلا الأشجار الصغيرة. وتتغير النظرة التحليلية المستخدمة في الجزء الأسفل من اللوحة وتُبطئ التحرك إلى الحيز، ويتسع الطريق الرمادي الفاتح، ولم يعد يبدو أنه يضيق أو ينحسر. في واقع الأمر، فإن الجزء العلوي كله من اللوحة يبدو مسطحاً أو منحدرًا لأعلى، مثل مسار لعبة أفغوانية في مدينة ملامي، حيث تتوقف الرحلة للحظة في ذروة التسلق، تاركة الراكب محاطاً بساء ضخمة صافية.

أكد دينكورن على أهمية سطح قماش اللوحة عن طريق تقنية استخدام اللون على اللون لبناء صورة سلسلة لمنظر طبيعي في كاليفورنيا، مع تغيير وجهة نظره من جزء لآخر في اللوحة. فقد كان مهتماً باستخدام تأثير ومواد الرسم لكي يحكي لنا عن موضوعه لا بصورة حرفية، بل بصورة مرئية مفعمة بالحياة. فلوحة سيبتيكيب هي في واقع الأمر مزيج بين موقع فعلي مُلاحَظ عن كثب (النصف الأيسر) ومشهد طبيعي مختلق (النصف الأيمن). وقد كان دينكورن يريد أن يعيد إبداع ما رآه لا أن يعيد تصوير المكان بالضبط. كان دينكورن قد حلق فوق صحراء ولاية نيو مكسيكو حين كان شاباً وظل مفتوناً بتصاميم الطبيعة التي رآها من الطائرة. والنظرة العالية هنا تسمح لنا بالتحرك إلى أعلى وفوق قطع من الأراضي، مع تهيئتها في صورة أشكال مركبة تشتبك معاً مثل لغز يمتد من أحد أطراف قماش اللوحة للطرف الآخر. وقد كان الفنان يريدنا أن نتأمل هذا اللغز؛ فقد كتب قائلاً إن اللوحة هي ”موقف. إنها مثل اللافتة التي يتم تعليقها لكي تُرى. إنها تقول إن هذا هو الطريق، وفقاً لإحساس معين“.

على الرغم من تعرضه غالباً لسخرية أولئك الأشخاص المعتنقين للاتجاه الطبيعي الذي يميل للواقعية، فقد سعى الفنانون بشدة ناحية الرسم التجريدي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وبفضل أيادي الرسامين الموهوبين مثل جاكسون بولوك، روبرت مزرويل وريتشارد دينكورن، عرض الفن التجريدي طاقة قوية ونشاطاً إبداعياً مساوياً لبزوغ أمريكا في دور اللاعب الرئيسي الجديد على الساحة الدولية. وعلى خلاف الفن الذي تم إنتاجه في ظل أنظمة الحكم الفاشية أو الشيوعية، والتي تهدف إلى تقديم مواعظ أيديولوجية بشكل مقيد للحريات، ركز الفن التجريدي على الفن نفسه وامتعة إبداعه. كان ريتشارد دينكورن رساماً انتقل من الرسم التجريدي إلى الرسم الرمزي ثم عاد إلى الرسم التجريدي مرة ثانية. إذا كان لعمله أي موضوع فإنه يكون الضوء والمناخ في ”الساحل الغربي“. وبالتالي يلمس عمله بصورة جوهرية قلب منظر طبيعي مرسوم في أمريكا.

في لوحة ريتشارد دينكورن ”منظر المدينة الأول“، تبدو الأرض والمباني معرضة للضوء القوي في شمال كاليفورنيا. جذب الفنان الانتباه إلى المناخ في سان فرانسيسكو من خلال دمج أطياف بالألوان الخضراء والبنية والرمادية والزرقاء والوردية بشكل رقيق وتنظيمها في رقع توضح فن العمارة وشوارع المدينة التي عاش فيها. وعلى خلاف لوحة



20- أ ريتشارد دينكورن (1922-1993)، ”منظر المدينة الأول“، 1963. لوحة زيتية على القماش، 60 1/4 × 50 1/2 بوصة (153.04 × 128.27 سم). متحف الفن الحديث بسان فرانسيسكو، مشتتة من موارد مالية لأوصياء وأصدقاء في ذكرى هيكتور إسكوبوسا، برايتون ويلبور، وجي دي زيلرباك. حقوق الطبع ملكاً للفنان ريتشارد دينكورن.

! صف وحلل

اجعل التلاميذ يحددون المثلثات وأشباه المنحرفات والمستطيلات الموضحة في منظر المدينة هذا. إنها في الحقول والمباني والظلال. اجعل التلاميذ يحددون مكان الأشجار والنوافذ ودرجات السلالم الموجودة في هذا المشهد. تبدو الأشجار قريبة من الجزء العلوي، بينما توجد النوافذ في المبنى الأبيض الموجود على اليسار، وتظهر درجات السلالم بالقرب من أسفل اليسار.

اجعل التلاميذ يشاهدون منظرًا طبيعيًا من طابق أعلى أو من مدرج مرتفع في أحد الملاعب. اطلب من التلاميذ مقارنة هذا المشهد عند رؤيتهم إياه من مكان مرتفع بالشكل الذي يبدو عليه عند رؤيتهم له وهم واقفون على الأرض. ما الأشياء التي لاحظوها عند رؤيتهم للمشهد من مكان مرتفع والتي لا يستطيعون رؤيتها عند نزولهم لمستوى أسفل؟ أين تواجد دينكورن عند رؤيته منظر المدينة الموضح في هذه اللوحة؟ يمكن أنه كان متواجداً في مبنى عالٍ أو على تل مرتفع أو داخل طائرة تحلق على ارتفاع منخفض. (لقد كان متأثراً بالمنظر الذي رآه من الطائرة عندما كان شاباً.)

! م ا ث

اطلب من التلاميذ تحديد مدى اختلاف جانبي الطريق عن بعضهما في لوحة دينكورن. وضح الجانب الذي من صنع الإنسان والجانب الآخر الذي لم يتم تطويره؟ الجانب الأيسر ممتلئ بالمباني الرمادية والبيضاء بينما يمثل الجانب الأيمن في حقول خضراء وذهبية لم يتم إدخال تطورات عليها.

! م ا ث

اطلب من التلاميذ وصف الأرض الموجودة في هذا المشهد. إنها شديدة التحدر وبها حقول خضراء وأرض ذهبية. وضح للتلاميذ صور التلال الموجودة في سان فرانسيسكو لمشاهدة المنظر الطبيعي الذي استوحى الفنان لوحته منها. لاحظ مدى الانحدار الذي تبدو به التلال.

! م ا ث

سل عن كيفية قيام دينكورن بإنشاء إحساس بالعمق في هذا المشهد. تبدو الظلال والمباني البعيدة أكثر إشراقاً وارتفاعاً في تركيبة الصورة مقارنة بتلك القريبة منا.

! م ا ث

اطلب من التلاميذ تحديد ما إذا كانت هذه اللوحة أكثر تعبيراً عن الحياة (واقعية) أم مبسطة (تجريدية). إنها تجريدية بشكل أكبر. اطلب من التلاميذ تحديد مدى اختلاف المباني والحقول عن ما يرونه في الحقيقة. إنها توضح أشكالاً رئيسية ولا يوجد بها سوى تفاصيل قليلة. من خلال رسم هذا المشهد بشكل تجريدي وليس واقعياً، ما الرسالة التي أوضحتها دينكورن في هذا الرسم؟ لقد ركز انتباهنا على الألوان الممتعة والضوء والأشكال الهندسية.

! م ا ث

اطلب من التلاميذ تتبع الطريق إلى الورا في هذا المشهد. كيف قام دينكورن بإبطاء حركة العين خلال تفحص هذا المنظر الطبيعي؟ يعمل الظل الأفقي والأشكال الضوئية على إبطاء حركة البصر.

! م ا ث

اجعل التلاميذ يقارنون لوحة دينكورن «منظر المدينة الأول» بلوحة إدوارد هوبر «منزل بجانب السكة الحديدية». إلى أي مدى تتشابه اللوحتان؟

يمثل الضوء والظل عاملين غاية في الأهمية في كلتا اللوحتين. تظهر مباني في كلتا اللوحتين، لكن لا يظهر أشخاص. كيف تختلف اللوحتان؟ كانت لوحة هوبر أكثر تفصيلاً وواقعية. تشكل الأرض الجزء الأكبر في لوحة دينكورن. تعتبر السماء والمباني أكثر أهمية في لوحة هوبر. نحن ننظر لأسفل لمشاهدة المنظر الطبيعي الذي رسمه دينكورن من نظرة تحليلية، لكن ننظر إلى أعلى عند مشاهدة لوحة هوبر. قارن بين الحالتين النفسيتين الموضحتين في كلتا اللوحتين. يبدو دينكورن أكثر تفاعلاً وبهجة حيث استخدم ألواناً ساطعة و فاتحة.

! فسر

اطلب من التلاميذ تحديد الفترة الزمنية من اليوم الموضحة في لوحة دينكورن. وما السبب وراء تحديد هذا الزمن؟ توضح الظلال الطويلة أن الوقت الموضح في الصورة هو الصباح الباكر أو في وقت متأخر بعد الظهر.

! م ا ث

اطلب من التلاميذ تحديد العوامل المؤثرة على لون وإضاءة منظر طبيعي حقيقي. يعد الطقس وأشعة الشمس والرطوبة أو التلوث الموجود في الهواء جميعها عوامل مؤثرة على كمية الضوء الساطع في أي مشهد. اطلب من التلاميذ وصف الطقس وجودة الهواء في هذا المشهد. الطقس صاف وجاف.

! ث

اطلب من التلاميذ تحديد السبب وراء شهرة الرسم التجريدي في الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. يقوم الفن التجريدي، من خلال الطاقة والإبداع الموجودين فيه، بالتكامل مع حالة النشاط التي شهدتها الولايات المتحدة بعد أن أصبحت زعيمة العالم، كما يعمل الفن التجريدي أيضاً على توضيح قدرة الفنانين على التعبير عن أنفسهم بحرية في ظل وجود نظام حكم ديمقراطي، على عكس الفنانين الذين يعيشون في دول خاضعة لأنظمة حكم استبدادية والذين يتم إجبارهم على إنشاء فن داعم للنظريات التي تنتهجها تلك الأنظمة الاستبدادية.